تداعيات انتصار اليمين المتشدد الايراني على العراق

الدكتور عبدالله العطية
رئيس المعهد العراقي للحرية والديمقراطية

علق الرئيس الايراني المنتخب محمود احمدنجاتي على اعلان فوزه بقوله: "انه فجر الثورة الاسلامية الجديدة في العالم". ان انتخاب نجاتي ينهي بصفة نهائية الخطر الذي كان يتهدد الزعامة الايرانية الدينية للتراجع امام العاصفة الامريكية التي افرزتها احداث 11 ايلول، ويفتح المجال لمواجهة اصلاحية تتولى رئاسة الجمهورية بما يساعد على امتصاص الغضب الامريكي بل ويمد جسور التعاون معها –بدون السماح لها بالتغيير الحقيقي داخل ايران- وهي الان تستعيد ثقتها وتجدد شبابها باختيار رجل الدين الذي يمثل راية التشدد الاسلامي شكلا و مضمونا.

ورغم الخصومة الايرانية الامريكية الا ان الاولى كانت المستفيد الاول من حروب امريكا في الكويت وافغانستان واخيرا العراق، وذلك بتخلص ايران من اكبر خصمين لها : الطالبان وصدام دون ان تضطر ايران لاطلاق رصاصة واحدة.

ولكن الاحتلال الامريكي للعراق حمل معه مخاوف انتصار امريكي سريع ينجح في اقامة نظام ديمقراطي مزدهر يعيد العراق الى قوته التي بالامكان استخدامها مرة اخرى ضد ايران، اضافة لما يحمله التغيير الايجابي في العراق من ضغط داخل ايران لصالح الانفتاح والديمقراطية، كما كانت هناك مخاوف من تكون ايران هي المحطة الثانية لامريكا بعد انتصارها في العراق من هنا كانت طهران سريعة في مد جسور التعاون مع القوى السنية والشيعية المعادية لامريكا في العراق، وما ان اتضح بما لا يقبل الشك بان امريكا متورطة في العراق تغير النهج الايراني لصالح ترجيح النفوذ الايراني في العراق وتوسيعه.

فامريكا في تورطها في العراق لم تعد بوارد اي عمل عسكري ضد ايران، ومن اجل استتباب الاستقرار في العراق والقضاء على التمرد السني باتت امريكا محتاجة للقوى الشيعية الاسلامية الحليفة لايران كما هي ممثلة بالمجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق بزعامة الحكيم، علما ان هذا المجلس تاسس في ايران في مطلع الثمانينات كما شكل المجلس بالتعاون مع الحرس الثوري الايراني ميليشيا عرفت باسم بدر التي اصبحت اليوم قوة فاعلة في العراق حيث يزيد عددها عن المائة الف مقاتل. وفي الوقت الذي تؤكد قرارات بريمر وقانون الادارة الانتقالي على حل كافة الميليشيات بتاريخ لا يتجاوز كانون الثاني\يناير 2005 الماضي، نجد قوات بدر تحتفل قبل اسابيع بمؤتمرها الثاني في بغداد بمشاركة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وحشد كبير من رجال الحكومة العراقية.

ان سياسة امريكا في العراق بدلا من ان تجعل منها وسيطا وعاملا مساعدا بين مكونات الشعب العراقي (شيعة وسنة وكرد وتركمان الخ) انحازت عن قصد او غير قصد للتحالف الشيعي الكردي، واتخذت قرارات (حل الجيش و اجتثاث البعث) جعلت من العرب السنة ضحيتها.

فامريكا في مواجهة التمرد العربي السني في العراق تجد نفسها اكثر اعتمادا على العرب الشيعة والاكراد.. وبالتالي هي اسيرة رضاهما، بدلا من ان تكون عنصر التوازن بين الجميع.

ومن اجل انجاح العملية الانتخابية في حزيران الماضي اضطرت واشنطن للاعتماد اكثر واكثر على رجل الدين الشيعي السيستاني والزعيمين الكرديين لضمان مشاركة اكبر عدد من الناخبين، ومن المفارقات ان تكون القوى الليبرالية واليسارية العلمانية في العراق احد ضحايا العملية الانتخابية دون ان تحقق الانتخابات الاستقرار المنشود.

وفي مثل هذه الاجواء عملت ايران " الثورية" وليس "الاصلاحية" على توسيع نفوذها في العراق الذي باتت تهيمن اليوم على الجنوب العراقي خاصة البصرة. وباختيار رجل الحرس الثوري والنسيج رئيسا للجمهورية تتطابق الاطراف الايرانية وتنتهي لعبة توزيع الادوار لصالح ايران المتشددة صاحبة "الرسالة" للعالم الاسلامي والمتسلحة بالقدرة النووية.

كما ان اسراع الولايات المتحدة باعتماد دستوري عجل باقامة دائم واجراء انتخابات في العراق في نهاية العام الحالي سيغري ايران اكثر في توسيع نفوذها بمجيء حكم عراقي شيعي متحالف ان لم يكن تابع لها، و

ذلك قبل نجاح المساعي الامريكية بمد الجسور مع العرب السنة، كما ان التنافس الكردي بين الطالباني والبرزاني سيبقي الاول بحاجة لايران.

ان القضايا المعلقة بين ايران والعراق كثيرة، فالى اليوم لم تعقد اتفاقية سلام بين البلدين، كما ان ايران لا تزال تطالب بالتعويضات حسب قرار مجلس الامن 509، اضافة الى اصرارها على اعلان العراق التزامه بمعاهدة 1975 التي اعادت رسم الحدود لصالح ايران.

ان التخبط الامريكي في العراق خدم التطرف الايراني داخل ايران وخارجها، وبدون مراجعة للسياسية الامريكية في العراق قد ينتهي الى كيانات شبة مستقلة يخضع احدها للنفوذ الايراني.

تموز 1 2005